معناه كلما ارادت ان يخبو زدناهم تسعرا وتلهبا قوله ذلك جزاؤهم مبتداء وخبره والباء
في قوله بانهم كفروا باياتنا السببية اي ذلك العذاب الموصوف المذكور فيما تقدم جزاؤهم
بسبب انهم كفروا باياتنا الدالة على صدق مدعي النبوة مكابرة وعنادا وعطف على كفرهم
بالايات المذكورة قولهم ائذا كنا عظاما الخ يعني انهم كما انكروا بالنبوة انكروا البعث
والحشر واستبعدوا ان يعود الانسان بعينه بعد ان يصير عظاما ورفاتا
واجاب الله تعالى عن هذا الاستبعاد بقوله اولم يروا الخ يعني ان من خلق السموات
والارض كيف يستبعد منه ان يقدر على اعادتهم باعيانهم واراد ان يخلق منهم خلق
انفسهم ثانيا فان مثل الشيء لما كان مساويا له في حاله جاز ان يعبر به عن الشيء نفسه
الا ترى انه يقال مثلك لا يفعل هذا ويراد انت لا تفعل وقيل المراد انه قادر على ان
يخلق عبيدا اخرين يوحدونه ويقرون بكمال حكمته وقدرته ويتركون ذكر الشبهات
الفاسدة وما اختاره المص انسب بالمقام وتم الجواب عند قوله على ان يخلق مثلهم
ثم عطف قوله وجعل لهم اجلا على جملة الجواب وهي قوله اولم يروا الخ فانه في قوة قد ر
أو افليس هو داخلا في حيز الانكار بل هو معطوف على جملة برأسها وقوله لا ريب فيه
صفة لاجلا اي اجلا غير مرتاب فيه فان اريد به اجل القيمة فوجه الافراد واضح وان اريد
به اجل الموت فوجه الافراد انه اسم جنس والا فلكل انسان له اجل يخصه فان اريد
اجل الموت يكون هذه الجملة المعطوفة جوابا لما استعجلوا من العذاب كما ان ما قبلها
جواب عن استبعاد البعث وان اريد به اجل القيمة يكون المقصود من هذه الجملة
بيان لوقوعه ودخوله في الوجود وما يعلم ما عند الله بعد بيان انه في نفسه امر ممكن الوجود
بناء على ان اعادة امثالهم اهون في عقولهم من خلق السموات والارض ابتداء قوله وانتم ترتفع
بفعل يفسره ما بعده وليس بمرفوع على الابتداء لان كلمة لو للشرط والتعليق والمعلق عليه
لا بد ان يكون من الاحوال المتغيرة القائمة بالذوات ولا يجوز ان يتعلق الحكم بنفس الذوات
فلذا تختصها ان تختص بالافعال لان الاسم يدل على الذوات والفعل هو الذي على المعاني
والصفات فلا بد ان يليها الفعل ظاهرا او مضمرا ولما وقع ان الاسم بعدها في الاية وجب
ان يقال ان الاسم مرفوع بفعل مقدر يفسره هذا الظاهر والاصل لو تملكون فحذف الفعل لدلالة
ما بعده عليه فانفصل الضمير وهو الواو اذ لا يمكن بقاؤه متصلا بعد حذف عامله ونظيره
في وجوب تقدير الفعل قوله وان احد من المشركين اي وان استجارك احد وقول الشاعر لو ذات سوار لطمتني اي
لو لطمتني ذات سوار لان لو طالبة للفعل فلما لم يوجد لفظا جعل مقدرا والمعنى لو لطمتني كفوا لي لهان علي

حر ولكن لطمتني عبد دوني وقيل لو لطمتني حرة فكني بكون اللاطمة ذات سوار عن حريتها
لان العرب قلما يلبسون الاماء السوار فالمعنى لو كانت اللاطمة حرة لكان اخف علي وذكر
للعدول عن الظاهر الى طريق الحذف والتفسير فائدتين الاولى المبالغة في ترتيب الجزاء
على الشرط لان تكرر انه لما كان عبارة عن ضمير تملكون المتاخر ومفسرا بعده بالذات كان
من حيث المعنى فاعلا له [illegible] وقد تقرر في علم المعاني ان تقديم الفاعل المعنوي
يفيد الاختصاص فقوله تعالى لو انتم تملكون يدل على انهم المختصون بهذه الحالة
الخسيسة والشح الكامل فانه من المعلوم ان خزاين الله تعالى غير متناهية لا يتصور
نفادها بكثرة الانفاق فمن ملكها واستبد بها من غير منازع ومزاحم ثم امسكها
ولم ينفق بحاجة احد من المحتاجين يكون في غاية الشح ونهاية البخل قوله
بخلتم اشارة الى ان امسكتم لا تقدر له مفعول ويحمل لازما لتضمنه معنى بخلتم ويجوز
ان يجعل متعديا ويقدر له مفعول اي لامسكتم المال والخزاين التي ملكتموها الا انه لما
حصل المقصود بدون التقدير استغنى عنه وخشية الانفاق مفعول له لقوله امسكتم وقيل
انه مصدر في موضع الحال اي لامسكتم خاشين الانفاق وفيه نظر لان المصدر المعرف
لا يقع موقع الحال الا سماعا نحو جهدت وطاقتك وارسلها العراك ولا يقاس عليه والانفاق
مصدر انفق اي اخرج المال وجعله المصنف مصدر انفق بمعنى [illegible] وفي الصحاح نفق الزاد ينفق
نفاقا اي نفد وانفق الرجل اي افتقر وذهب ماله فعلى هذا خشية معناه خشية الفاقة والا
قوله اذلا احد الا ويختار النفع لنفسه جواب عما يقال كيف يصح ان يخاطب الانسان
خطابا عاما ويصفهم بالبخل المفرط بهذه المبالغة العظيمة مع ان في الانسان من هو جواد
كريم ولو بر الجواب وصف كافة الانسان بالبخل لان الاصل فيهم البخل من حيث انه خلق محتاجا
الى ما يسط احواله والمحتاج لا بد وان يحب ما به يدفع حاجته وان يمسكه لنفسه ولا
يؤثر به غيره وان انفق ان يؤثر به غيره انما يفعل ذلك لطلب عوض يفوق ما انفق به
مثل ان يحمد ويذكر بالجميل او يخرج عن عهدة الواجب او يتقرب به الى الله تعالى فلما لم ينفق
الا لعوض فانه يصل اليه كان في الحقيقة بخيلا فان الجواد هو المعطي تفضلا من غير داعي
يدعوا اليه سوى الكرم ودفع حاجة المحتاج ثم اشار الى وجه اخر وهو انه وصف الكل
بالبخل على اقامة الاكثر مقام الكل لان البخلاء اغلب فيهم وقيل الخطاب للذين قالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فانهم لما طلبوا اجراء الانهار والعيون في بلدهم ليكثر اموالهم
فاجابهم الله تعالى بانكم لو تملكون خزاين رحمة الله لبقيتم على بخلكم وشحكم ولما اقدمتم على ايصال النعم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)